

مجلة افاق للعلوم
Issn: 2507-7228 – Eissn: 2602-5345
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/351

المجلد: 06 / العدد: 01 (2021) ص 97-112

جهود الشهرستاني في نقد عقائد النصارى من خلال كتابه الملل والنحل

Al- shahrustani efforts to criticize christian beliefs through his book the communions and sects

د. للا عائشة عدنان*
جامعة القرويين الرباط (المغرب)
Adenane19lallaaicha@gmail.com

عبد السلام الإدريسي البركاني
جامعة القرويين الرباط (المغرب)
elidryssy92@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
25 ماي 2020

تاريخ القبول:
09 سبتمبر 2020

الكلمات المفتاحية:
✓ الشهرستاني
✓ الملل
✓ النحل

الملخص:

يعتبر كتاب "الملل والنحل" من أهم المصادر والمراجع في دراسة علم مقارنة الأديان، إذ هو موسوعة مختصرة في المذاهب والفرق وعقائد أهل الملل والأهواء والنحل، قدم فيه أبو الفتح الشهرستاني (548هـ) مجموعة من المذاهب والفرق في مختلف الديانات، وتعرض لبيان آرائها وعقائدها وذكر أربابها وأصحابها ونقل مآخذها ومصادرها، بأسلوب منظم مرتب، وبمنهج موضوعي علمي، "من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن يبين صحيحها من فاسدها، ويعين حقها من باطلها"، لذلك حظي الكتاب بعناية كبيرة من لدن الباحثين والدارسين، وطبع مرات عديدة وإلى لغات مختلفة.

Article info

Received
25 may 2020
Accepted
09 September 2020

Keywords:
✓ *Shahristani*
✓ *communions,*
✓ *sects,*

Abstract :

The book titled"the communions and sects" is considered one of the important sources and references in the study of science of comparative religions, it is a brief encyclopaedia about the sects and cults and doctrines of the followers of other religions.

In this book, Abu El fath Shahrustani presented several sects and cults in different beliefs, and he exposed its opinions and its doctrines, and he mentioned its owners, furthermore, he focused on its negative points and its references with an organised style, and objective scientific method without intolerance or critics, and without clarifying its right from its corrupt, and its truth from its falsehood. Therefore, this book got a great attention from the researchers, and it has been printed many times as well as it has been translated into different languages

* المؤلف المرسل

. مقدمة:

الحمد لله قامع الأباطيل ومدحض الأضاليل، وهادي من اختصه برحمته سواء السبيل، ومضل الناكب عن الصراط المستقيم، والحايد عن واضحات الحجج وبينات البراهين، نحمده حمد معترف بأنه لاشبه له يساويه، ولا ضد له ينازعه ويناويه، وأنه مالك الخلق ومنشؤه، مبدؤه ومعيده... ونرغب إليه في الصلاة على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيئين، وإمام المتقين ،كما أوضح السبيل وأنار الدليل، وعلى إخوانه من المرسلين، وأهل بيته الطاهرين وأصحابه المنتخبين، ومن بعدهم من التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

مما لا شك فيه أن علم مقارنة الأديان من العلوم التي تساعد على إظهار الحق وتبيين الأباطيل التي سطرها اليهود والنصارى في كتبهم ونسبوها إلى أنبيائهم، لذلك توالت جهود علماء المسلمين في كشف هذا الانحراف النصراني واليهودي في مجال العقيدة، والرد عليهم بأبلغ الحجج وأظهر البراهين اليقينية بالشرع المنقول والنظر المعقول الموافق لأصول الدين.

فعلماء الإسلام اهتموا بدراسة الفرق والمذاهب وأديان أهل الملل والنحل، وكان لهم السبق في وضع بعض أسس دراسة الأديان قبل ظهوره عند الغربيين بهذه التسمية وبهذه القواعد، وهذا ما يؤكده عبد الله دراز في كتابه الدين بقوله: "إن أثر العرب والمسلمين في علم الأديان يمتاز بطابعين جديدين :**أولا** :أن الحديث عن الأديان أصبح على يد العلماء المسلمين دراسة وصفية واقعية منعزلة عن سائر العلوم والفنون شاملة لكافة الأديان المعروفة في عهدهم .**ثانيا** :أن العلماء في وصفهم للأديان المختلفة لم يعتمدوا على الأخيلة والظنون، ولكنهم كانوا يستمدون أوصافهم من مصادرها الموثوق بها"[1].

وألفوا في ذلك كتبا عديدة، منها ما هو خاص بطائفة من الطوائف مثل: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة لأبي الريحان البيروني (ت:440هـ). وكتاب: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري (ت: 324هـ)، وأيضا كتاب: الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي (ت: 429هـ)، ومنها ما هو عام في مختلف الأديان من الملل والنحل، مثل: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ)، وكتاب الملل والنحل، للإمام الشهرستاني (ت: 548هـ)، إلا أن هذا الأخير يمتاز عن غيره بمزايا عدة، فهو موسوعة مختصرة في الفرق والمذاهب وأديان أهل الملل والأهواء والنحل، وقد سلك المؤلف في عرضها أسلوبا وصفيا تحليليا، وبمنهج علمي وموضوعي.

إن البحث في موضوع مناهج علماء المسلمين في علم مقارنة الأديان، من المواضيع التي استأثرت اهتمام الباحثين، وكلما وقعت قضايا معاصرة جديدة، إلا وتنبثق إشكالات جديدة تجعل الباحث أمام مجموعة من الفرضيات تحتاج إلى البحث والتمحيص؛ ولذلك فإن الإشكالية التي تهدف هذه المقالة الإجابة عنها هي: ما هي أهم المناهج والطرق التي اعتمدها الشهرستاني في عرضه لعقائد النصارى ومذاهبهم في كتابه الملل والنحل؟ وأين تظهر قيمة كتاب الملل والنحل عن غيره من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، وخصوصا في دراسة الديانة النصرانية؟.

أما عن المنهجية التي اعتمدناها فهي على الشكل الآتي:

- عزو الآيات إلى مضانها وذلك بذكر اسم السورة ثم رقمها، وتجدر الإشارة هنا أننا اعتمدنا على القرآن الكريم برواية ورش.
- عزو الأحاديث النبوية إلى مضانها، وذلك بذكر اسم الكتاب وصاحبه، والكتاب والباب ثم رقم الحديث والصفحة.
- وعندما نستشهد بنص من الكتاب المقدس نذكر اسم السفر والإصحاح ورقم الإصحاح ثم الفاسوق.

وعندما يتم ذكر الكتاب لأول مرة في الهامش نذكر جميع المعلومات المتعلقة به؛ من ذكر اسمه وصاحبه، وإن كان قد قدم له أحد أو علق عليه أو ترجمه نذكره، وبعدها نذكر الطبعة وسنة الطبع ودار النشر ثم الصفحة، وعندما نذكره للمرة الثانية نقتصر فقط بذكر اسمه واسم صاحبه والصفحة.

ونظرا لطبيعة الموضوع ارتأينا أن نجزء مقالتنا هذه إلى محورين أساسيين يصدران بمقدمة ويردفان بخاتمة؛ خصصنا **المحور الأول** للتعريف بالإمام الشهرستاني، **والمحور الثاني** أفردناه للحديث عن **منهجية الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل"**، و**ختمنا** هذه المقالة بأهم النتائج التي توصلنا إليها.

2. المحور الأول: التعريف بالإمام الشهرستاني

أولا: ولادته

محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، يكنى: بأبي الفتح، ويعرف بالشهرستاني، نسبة إلى شهرستان؛ بلدة بإقليم خرسان، بين نيسابور وخوارزم، وشهرستان كلمة أعجمية مركبة من جزأين: شهر: أي مدينة، وستان: أي ناحية، فكأنها مدينة الناحية، ويقال لها رباط شهرستان، بناها أمير خراسان عبد الله بن الطاهر في خلافة المأمون، خرج منها جماعة كثيرة من العلماء في كل فن، ولد المؤلف في شهرستان سنة سبع وستين وأربعمائة، وقيل تسع وسبعين وأربعمائة، وتوفي بها أيضا في أواخر شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وقيل سنة تسع وأربعين[2]، ولعل أصدق الأقوال أنه ولد سنة 479هـ، وتوفي في شعبان سنة 548هـ الموافق لـ 1153م، وبذلك يكون قد عاش 80 سنة[3].

2.2 ثانيا: الحياة العلمية للشهرستاني

توجه الشهرستاني إلى طلب العلم وهو صغير السن، يقول عن نفسه: "لقد كنت على حداثة سني أسمع تفسير القرآن من مشايخي سماعا مجردا"[4]، وسمع الحديث وهو في سن الخامسة عشرة، وتلقى علوما كثيرة في فنون مختلفة، وبرع فيها، فتفقه لمذهب الإمام الشافعي على أحمد بن محمد الخوافي، وسمع الحديث بنيسابور من أبي الحسن علي بن أحمد المديني وغيره، وأخذ علم الكلام والأصول وطريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري عن أبي نصر القشيري، والأستاذ أبي القاسم الأنصاري تلميذ إمام الحرمين، وتجول في البلدان المجاورة مما في ذلك: خراسان، ونيسابور، وخوارزم واتخذ بها دارا وسكنها مدة، وخرج منها سنة 510هـ، وحجّ في هذه السنة ثم أقام ببغداد، ووعظ بها مدة نحوا من ثلاث سنين،، وظهر له قبول عظيم عند العوام وكان كثير المحفوظ[5]، وصفه ابن أرسلان الخوارزمي . وهو معاصر له . بقوله: "وكان عالما حسنا حسن الخط واللفظ لطيف المحاورة خفيف المحاضرة طيّب المعاشرة ... ولولا تخبّطه في الاعتقاد وميله إلى هذا الإلحاد لكان هو الإمام"[6]، كان إماما في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة[7].

وصنف كتبا كثيرة في فنون مختلفة، شهد من ترجم له بالبراعة في التأليف وكثرة التصنيف، ذكر البيهقي (565هـ) بأن "له تصانيف كثيرة... وتصانيفه تزيد على عشرين مجلدة[8]، ووصفه ياقوت الحموي (626هـ): بـ"صاحب التصانيف"[9]، وكان كثير التصنيف في علم الكلام والأديان، يلاحظ محمد بدران بأن الشهرستاني قد (أقام بمفرده مدرسة فلسفية للملل والنحل، أو تاريخ الأديان، بدأها وأتمها هو، فبدأ بتاريخ الرجال في كتابه (تاريخ الحكماء)، وثنى بتأريخ الآراء والأفكار في (الملل والنحل)، وثلث بمناقشة هذه الآراء والمذاهب في كتب متعددة؛ فناقش الآراء الكلامية في كتابين: (غاية المرام) و (نهاية الأقدام)، وناقش الآراء الفلسفية في كتابين: (نقض شبه أرسطو وابن سينا)، و(مصارعة الفلاسفة)...[10]

ومن مؤلفاته التي ذكرت له:

- ✓ الملل والنحل وهو الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه. وقد طبع الكتاب عدة طبعات.
- ✓ نهاية الإقدام في علم الكلام، طبع بتحقيق المستشرق (ألفرد جيوم) سنة (1931) بلندن.
- ✓ المناهج في علم الكلام، وبعضهم أثبته باسم: المناهج والآيات، أو المناهج والبيان.
- ✓ مصارعة الفلاسفة، طبع بتحقيق د. سهير محمد مختار في مصر سنة (1976م)، ثم طبع بتصحيح د. موفق فوزي الجبر سنة (1997م) بسوريا.

- ✓ غاية المرام في علم الكلام.
- ✓ تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام.
- ✓ نهايات أوهام الحكماء الإلهيين.
- ✓ تاريخ الحكماء.
- ✓ رسالة في الجوهر والفرد، أو الجزء الذي لا يتجزأ. طبعت في خاتمة نهاية الإقدام بتصحيح آلفرد جيوم.
- ✓ شبهات أرسطوا وبرقلس وابن سينا ونقضها.
- ✓ الإرشاد إلى عقائد العباد.
- ✓ مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، وهو كتاب في تفسير القرآن.
- ✓ شرح سورة يوسف.
- ✓ قصة موسى والخضر.
- ✓ العيون والأنهار.
- ✓ مجلس في الخلق والأمر، باللغة الفارسية، وقد طبع الكتاب أكثر من مرة باللغة الفارسية.

إلى غير ذلك من المؤلفات، وقد أوصلها بعض الباحثين[11]، ومن ترجم له حوالي 20 مؤلف، أو أكثر، منها المطبوع والمخطوط والمفقود.

ثالثا: المذهب العقدي والفقهي للشهرستاني

تبنى الشهرستاني مذهب الإمام الشافعي، فتفقه على أحمد بن محمد الخوافي، وأخذ علم الأصول على أبي نصر القشيري، وأبي القاسم الأنصاري، ترجم له ابن الصلاح في طبقات الفقهاء الشافعية،[12] وعده السبكي في الطبقة الخامسة من طبقات الشافعية[13]، وجعله ابن كثير في الطبقة السابعة في طبقات الشافعيين[14].

أما مذهبه العقدي فقد اختلفت آراء العلماء حول اتجاه عقيدته، وأغلب الذين ترجموا له صرحوا بأنه أشعري العقيدة، وقد سعى في كتابه ـ الملل والنحل ـ إلى تقرير مذهب أبي الحسن الأشعري بأنه مذهب أهل السنة والجماعة.[15]

واتهمه بعضهم بالإلحاد والميل إلى آراء الفلاسفة، ونسبه آخرون إلى عقيدة التشيع من أهل الباطنية، نقل ياقوت الحموي في معجمه عن ابن أرسلان الخوارزمي (568هـ) إنكاره على الإمام الشهرستاني ميله إلى الإلحاد، ونصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم، فقال إنه "كان عالما حسنا، حسن الخط واللفظ، لطيف المحاورة، خفيف المحاضرة، طيّب المعاشرة (...) ولولا تخبّطه في الاعتقاد وميله إلى هذا الإلحاد لكان هو الإمام، وكثيرا ما كنّا نتعجب من وفور فضله وكمال عقله كيف مال إلى شيء لا أصل له واختار أمرا لا دليل عليه لا معقولا ولا منقولا، ونعوذ بالله من الخذلان والحرمان من نور الإيمان، وليس ذلك إلا لإعراضه عن نور الشريعة واشتغاله بظلمات الفلسفة، وقد كان بيننا محاورات ومفاوضات فكان يبالغ في نصرة مذاهب الفلاسفة والذبّ عنهم، وقد حضرت عدة مجالس من وعظه فلم يكن فيها لفظ قال الله ولا قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا جواب عن المسائل الشرعية، والله أعلم بحاله"[16] .

وصرح الذهبي (748هـ) في كتاب (العبر في خبر من غبر) بأن الشهرستاني "اتهم بمذهب الباطنية"[17]، ونقل في سير أعلام النبلاء عن السمعاني: "أنه كان متهما بالميل إلى أهل القلاع والدعوة إليهم، والنصرة لطاماتهم ... وهو متهم بالإلحاد، غال في التشيع"[18] .

وقد حاول الإمام السبكي (771هـ) في (طبقات الشافعية الكبرى) الدفاع عن الإمام الشهرستاني ورد ما نسب إليه، قال: "وما أدري من أين ذلك لابن السمعاني، فإن تصانيف أبي الفتح دالة على خلاف ذلك، ويقع لي أن هذا دس على ابن السمعاني في كتابة (التحبير) وإلا فلم لم يذكره في (الذيل)، لكن قريب منه قول صاحب (الكافي) لولا تخبطه في الاعتقاد وميله إلى أهل الزيغ والإلحاد لكان هو الإمام في الإسلام، وأطال في النيل منه"[19].

وتطرق ابن تيمية (728هـ) في (منهاج السنة) إلى الرد على من زعم بأن الشهرستاني كان من أشد المتعصبين على الإمامية، ورد بأن الأمر ليس كذلك، وإنما كان يميل كثيرا إلى أشياء من أمورهم، وأحيانا يذكر أشياء من كلام الإسماعيلية الباطنية منهم ويوجهه، ولهذا اتهمه بعض الناس بأنه من الإسماعيلية، وإن لم يكن الأمر كذلك ...وقد يقال: هو مع الشيعة بوجه، ومع أصحاب الأشعري بوجه...وبالجملة فالشهرستاني يظهر الميل إلى الشيعة، إما بباطنه وإما مداهنة لهم، فإن هذا الكتاب - كتاب " الملل والنحل " صنفه لرئيس من رؤسائهم، وكانت له ولاية ديوانيه، وكان للشهرستاني مقصود في استعطافه له، وكذلك صنف له كتاب " المصارعة " بينه وبين ابن سينا"[20].

3. المحور الثاني: منهجية الشهرستاني في كتاب الملل والنحل

يعتبر كتاب "الملل والنحل" من أهم المصادر والمراجع في دراسة علم مقارنة الأديان، فهو موسوعة مختصرة في المذاهب والفرق وعقائد أهل الملل والأهواء والنحل، لذلك كان من الضروري أن نقدم تعريفا عن الكتاب ونبين منهج المؤلف وطريقته التي سلكها فيه بصفة عامة، لاستخلاص منهجه في عرض فرق النصارى وعقائدهم. ويمكن تفصيل الحديث عن هذه المحاور ضمن المباحث الآتية:

أولا: التعريف بالكتاب

يوحي عنوان [الملل والنحل] بموضوع هذا الكتاب وبالمجال المصنف فيه، وهو الفرق الكلامية والمذاهب العقدية من أهل الملل والأهواء والنحل، وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية في إيضاح معنى هذين اللفظين، يظهر موضوع الكتاب أكثر وضوحا وبيانا.

جاء في لسان العرب لابن منظور(711هـ): "الملة: الشريعة والدين. وفي الحديث: "لا يتوارث أهل ملتين"؛ الملة: الدين، كملة الإسلام والنصرانية واليهودية، وقيل: هي معظم الدين، وجملة ما يجيء به الرسل. وتملل وامتل: دخل في الملة. وفي التنزيل العزيز: "حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ" [البقرة. 120] قال أبو إسحاق: الملة في اللغة: سنتهم وطريقهم."[21].

قال أبو هلال العسكري (395هـ): "وأصل الملة في العربية الملّ، وهو أن يعدو الذئب على شيء ضربا من العدْو، فسميت الملة ملة لاستمرار أهلها عليها، وقيل: أصلها التكرار من قولك: طريق مليل، إذا تكرر سلوكه حتى توطأ، ومنه الملْل، وهو تكرار الشيء على النفس حتى تضجر، وقيل: الملة مذهب جماعة يحمي بعضهم لبعض عند الأمور الحادثة"[22].

إذن الملة في اللغة تطلق على معنى الدين وعلى معنى الشريعة والسنة والطريق والمذهب، وهي معاني متساوية في معناها اللغوي، لكن في دلالتها الاصطلاحي تختلف معانيها، يقول الشريف الجرجاني (ت: 816هـ) في الفرق بين الدين والملة بأنهما: "متحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار؛ فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى: دينا، ومن حيث إنها تُجمع تسمى: ملة، ومن حيث إنها يرجَع إليها تسمى: مذهبا، وقيل: الفرق بين الدين، والملة، والمذهب: أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد".[23]

وقد تكلم المؤلف في بداية القسم الأول من الكتاب عن معاني هذه الألفاظ حيث قال: "نتكلم ههنا في معنى الدين، والملة، والشرعة، والمنهاج والإسلام، والحنيفية، والسنة، والجماعة، فإنها عبارات وردت في التنزيل، ولكل واحدة منها معنى يخصها، وحقيقة توافقها لغة واصطلاحا"[24]، ثم قال بعد ذكر معنى الدين: "ولما كان نوع الإنسان محتاجا إلى اجتماع مع آخر من بني جنسه في إقامة معاشه، والاستعداد لمعاده؛ وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ بالتمانع ما هو أهله، ويحصل بالتعاون ما ليس له؛ فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هي الملة، والطريق الخاص الذي يوصل إلى هذه الهيئة هو المنهاج، والشرعة، والسنة. والاتفاق على تلك السنة هي الجماعة، قال الله تعالى: "**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**"[المائدة: 50]" [25].

هذا فيما يخص معنى الملة أما النحلة فيراد بها في معناها اللغوي: الهبة والعطية ومنه قوله تعالى " وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً " [النساء: 4]، ويراد بها أيضا: الدعوى، يقال: انتحل فلان شعر فلان أو قول فلان إذا ادعاه أنه قائله، وتنحلَه: ادعاه وهو لغيرِه، وتطلق أيضا على الدين والعقيدة: تقول فلان ينتحل كذا وكذا أي يدين به، واختلف في تفسير قوله تعالى "وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً" [النساء:4] على أوجه؛

فَقَال بعضهم: فريضة، وقيل: ديانة، وقَال ابن عرفة: أي دينا وتدينا، وقيل: أراد هبة، وقَال بعضهم: هي نحلة من الله عز وجل لهن، أي جعل على الرجل الصداق ولم يجعل على المرأة شيئا من الغُرْمِ، فتلكَ نحلة من الله للنساء[26].

وعلى كل حال فإن المعنى المقصود به هنا في عنوان الكتاب بلا شك هو الديانة، وجمعها المؤلف على نحل أي ديانات، لكن يبدوا أن دلالة المصطلح هنا عند الشهرستاني يعني به مفهوما خاصا، فمن خلال نصوص الكتاب نجده يقسم أهل العلم إلى ديانات وملل، وإلى أهواء ونحل، ويقصد بالقسم الأول: المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن له شبهة كتاب كالمجوس، ويقصد بالقسم الثاني: الفلاسفة والدهرية والصابئة ومن كان على شاكلتهم، فقد جعل المصطلح مرادف لأهل الأهواء والآراء الذين يحتكمون إلى شهواتهم وعقولهم.

سبب تأليف كتاب الملل والنحل:

عاش الشهرستاني في زمن كانت الأمة الإسلامية تشهد حروبا سياسية (العباسيون في المشرق، والفاطميون بمصر، والمرابطون بالمغرب والأندلس، ودويلات أخرى في طريق نشأتها)، بالإضافة إلى نزاعات عرقية ومذهبية كانت قائمة منذ زمن طويل. آثر انتباه الشهرستاني هذا الموضوع الذي تعيشه الأمة الإسلامية من افتراق وتمزيق داخل الوحدة الإسلامية، ولم يكن هذا الموضوع جديدا، بل دارت حوله كتابات ومؤلفات عديدة، استفاد منها المؤلف واطلع عليها وحول ما كتب فيها عن هذا الموضوع، سواء ما تعلق بالأمة الإسلامية أو غيرها من الأمم الأخرى، حينذاك شرع الشهرستاني في تدوين مقالات وآراء أهل الملل والنحل، ولم يكن كتابه هذا هو الوحيد في هذا الموضوع، بل هناك مؤلفات أخر تصب في الموضوع نفسه، مما يعني "أن الشهرستاني أقام بمفرده مدرسة فلسفية للملل والنحل، أو تاريخ الأديان، بدأها وأتمها هو، فبدأ بتاريخ الرجال في كتابه تاريخ الأفكار، وثنى بتاريخ الآراء والأفكار في الملل والنحل، وثلث بمناقشة هذه الآراء والمذاهب في كتب متعددة، فناقش الآراء الكلامية في كتابين؛ غاية المرام، ونهاية الإقدام. وناقش الآراء الحكمية في كتابين؛ دقائق الأوهام، ونهاية أوهام الحكماء الإلهيين. وناقش الآراء الفلسفية في كتابين؛ نقض شبه أرسطو وابن سينا، ومصارعة الفلاسفة"[27] .

وبهذا يكون الشهرستاني قد وضع منهجا محكما في تأريخه لمقالات أهل العلم. يقول مبينا سبب تأليف هذا الكتاب: "فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم من أرباب الديانات والملل، وأهل الأهواء والنحل والوقوف على مصادرها ومواردها، واقتناص أوانسها وشواردها، أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدين به المتدينون، وانتحله المنتحلون؛ عبرة لمن استبصر، واستبصارا لمن اعتبر"[28]، وغرضه من ذلك هو« حصر المذاهب مع الاختصار"[29]، مع حسن الترتيب والتنظيم.

أهمية الكتاب:

يشكل كتاب الملل والنحل مصدرا مهما في علم مقارنة الأديان، وعلم الكلام، حاول الشهرستاني أن يجمع فيه جل الفرق الكلامية من المسلمين وغيرهم، مع حسن الترتيب وجودة التنظيم، وجمال التعبير في الكلام، وحسن نية الإمام بقبول الخلاف دون تعصب أو انحياد، مما جعل الكتاب يتلقى بتقدير واحترام، وقد أثنى عليه مجموعة من العلماء والباحثين، نذكر منهم: الإمام السبكي (771هـ) قال: "هو عندي خير كتاب صنف في هذا الباب"[30].

وابن تيمية (728هـ) رغم انتقاده الشهرستاني في عدم الضبط في النقل، إلا أنه أثنى على الكتاب بما تميز به عن غيره من كتب المقالات ـ قال: "مع أن كتابه أجمعُ من أكثر الكتب المصنفة في المقالات وأجود نقلا(...)"[31].

وذكر نوح بن مصطفى ـ الذي ترجم الكتاب إلى اللغة التركية ـ بأن العلماء رضوان الله عليهم قديما وحديثا قد وضعوا كتابه هذا ـ الملل والنحل ـ الجليل القدر موضع العناية والاعتبار، حتى إن كل من ألف في هذا المضمار قد نقل عنه واتخذه مرجعا[32].

وذكر سيد كيلاني في مقدمة تحقيقه للكتاب: أن كتاب الملل والنحل للشهرستاني يمتاز عن غيره من الكتب التي ألفت في هذا الموضوع بميزة جعلته فريدا في بابه، فهو دائرة معارف مختصرة للأديان والمذاهب والفرق والآراء الفلسفية المتعلقة بما وراء الطبيعة التي عرفت في عصر المؤلف[33].

. ويقول ألفرد جيوم الذي ترجم الكتاب سنة (1846م): "لا يمكن الاستغناء عنه في أي زمان"[34].

وأما هاربروكر الألماني فيقول: "بوساطة الشهرستاني في كتابه الملل والنحل نستطيع أن نسد الثغرة التي في تاريخ الفلسفة بين القديم والحديث"[35].

وفي المقابل نجد بعض الباحثين والعلماء يأخذون على الكتاب مآخذ سلبية، وينتقصون قدر الشهرستاني، ويصفونه بالخلط بين الأقوال، مثل الإمام الفخر الرازي (505هـ)، الذي يرى أن كتاب الملل والنحل غير معتمد عليه؛ لأنه نقل عن الإمام البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق، والإمام البغدادي كان شديد التعصب على المخالفين ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح، كما نقل في أحوال الفلاسفة عن الكتاب المسمى بصوان الحكمة، ونقل عن الجاحظ في أديان العرب[36].

وأشار ابن تيمية إلى أن ما ينقله الشهرستاني وأمثاله من المصنفين في الملل والنحل غالبه لم يحرر فيه القول، ولم تذكر أسانيده، وقد نقل الشهرستاني في غير موضع أقوالا ضعيفة يعرفها من يعرف مقالات الناس، مع أن كتابه أجمع من أكثر الكتب المصنفة في المقالات وأجود نقلا، لكن هذا الباب وقع فيه ما وقع[37].

ومما يؤخذ عليه أيضا أنه لم يستقصي جميع الديانات والفرق، مثل أديان أهل الصين، وديانات قدماء المصريين، وبعض الفرق الإسلامية؛ كالصوفية والماتريدية وغيرهم.

ورغم هذه الانتقادات والمآخذ إلا أن كتاب الملل والنحل يبقى متصدرا في هذا الباب، والمعول عليه في هذا الشأن، بفضل ما تميز به من التنظيم والترتيب، ودقة المنهج والتأليف، ومما يدل على أهمية الكتاب طبعاته الكثيرة.

ثانيا: منهج الشهرستاني في تقسيم الكتاب وترتيبه

قدم الشهرستاني كتابه بخمس مقدمات، مهد فيها لموضوع الكتاب، وبنى عليها محاوره ومضامينه.

خصص **المقدمة الأولى** لبيان أقسام أهل العالم جملة، حيث حكى أربعة أنواع من تقسيمات أهل العالم، فذكر أن من الناس من يقسمهم بحسب الأقاليم السبعة، ومنهم من يقسمهم بحسب الأقطار الأربعة، وبعضهم يقسمهم بحسب الأمم، والبعض الآخر يقسمهم بحسب الآراء والمذاهب، وعلى هذه القسمة الأخيرة اعتمد المؤلف في الكتاب.[38]

المقدمة الثانية: في تعيين قانون يبنى عليه تعديد الفرق الإسلامية: وضع الشهرستاني فيها ضابطا وقانونا يمكن أن يبنى عليه تعديد الفرق الإسلامية، وقد حصر المؤلف هذا القانون في أربع قواعد هي أصول كبار: القاعدة الأولى: الصفات والتوحيد. القاعدة الثانية: القدر والعدل. القاعدة الثالثة: الوعد والوعيد، والأسماء والأحكام. القاعدة الرابعة: السمع والعقل، والرسالة والإمامة. وعلى هذه القواعد والمسائل تقوم الفرق الإسلامية إما نفيا لها أو إثباتا، وتنحصر كبرها في أربع: القدرية، والصفاتية، والخوارج، والشيعة. وتتشعب من كل فرقة أصناف، فتصل إلى ثلاث وسبعين فرقة، بناء على ما ورد في الحديث النبوي " ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة."[39] ولأصحاب كتب المقالات طريقان في ترتيب هذه الفرق وتعديدها: الطريق الأول: وضع المسائل أصولا، ثم درج تحت كل مسألة مذهب طائفة طائفة، وفرقة فرقة، الطريق الثاني: وضع الرجال وأصحاب المقالات أصولا، ثم إتيان بمذاهبهم في مسألة مسألة، وعلى هذا الطريق الأخير نهج الشهرستاني في هذا الكتاب، لأنه أضبط للأقسام، وأليق بباب الحساب، كما قال[40].

المقدمة الثالثة: في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة، ومن مصدرها في الأول، ومن مظهرها في الآخر؟ بين فيها أن أول شبهة وقعت في الخليقة: شبهة إبليس اللعين، ومصدرها هو استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق

منها ـ وهي النار ـ على مادة آدم عليه السلام ـ وهي الطين. وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات أخر، وتفرع عن كل هذه الشبه مذاهب وفرق، فكانوا هم مظهرها في الآخر[41].

المقدمة الرابعة: في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية، وكيف انشعابها، ومن مصدرها، ومن مظهرها؟ اعتبر الشهرستاني حديث ذي الخويصرة التميمي في احتجاجه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية، إذ قال: اعدل يا محمد، فإنك لم تعدل، وقال: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ـ تعالى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن لم أعدل فمن يعدل" ثم قال: سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وكذلك ما وقع في زمنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الاعتراضات من طرف المنافقين، وما وقع في حال مرضه وبعد وفاته من الاختلافات بين الصحابة أنفسهم، وأعظمها قضية الخلافة، والتي تمخض عنها فيما بعد نشوء حربين كبيرين؛ حرب الجمل، وحرب صفين. فبدأت الفرق الإسلامية تظهر منذ ذلك الوقت، تأويلا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة" [42].

المقدمة الخامسة: بين المؤلف في هذه المقدمة السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب، وذلك أن الحساب مبني على الحصر والاختصار، وغرض المؤلف من تأليفه للكتاب حصر المذاهب مع الاختصار، ثم أشار إلى بعض مناهج الحساب وطرقه حتى لا يظن به كما يقول: أني من حيث أنا فقيه ومتكلم أجنبي النظر في مسالكه ومراسمه، أعجمي القلم بمداركه ومعالمه[43].

ثم قسم المؤلف كتابه إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: أرباب الديانات والملل من المسلمين وأهل الكتاب، وممن له شبهة كتاب، وذكر تحته ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: تحدث فيه عن المسلمين، وقد بوبه إلى سبعة أبواب، يذكر في كل باب فرقة من الفرق الإسلامية ويتحدث عن مذاهبها وأصحابها واعتقاداتها، إلى أن استوفى ثلاث وسبعين فرقة، وخص الباب السابع لأهل الفروع المختلفين في الأحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية، والمجتهدين من الأئمة، وحكم الاجتهاد والتقليد.

الجزء الثاني: تحدث فيه عن أرباب الديانات والملل من أهل الكتاب، خص الباب الأول منه لليهود، متناولا أشهر فرقهم واعتقاداتهم، وفي الباب الثاني: النصارى وذكر أيضا فرقهم واعتقاداتهم، مقتصرا على ما هو أشهر وأعرف من هذه الفرق.

الجزء الثالث: تحدث فيه عن أرباب الديانات والملل ممن له شبهة كتاب، وذكر مذاهبهم، تكلم في الباب الأول عن المجوس وفرقهم، وفي الباب الثاني تحدث عن الثنوية (أصحاب الاثنين الأزليين) متناولا فرقهم.

القسم الثاني: أهل الأهواء والنحل من الصابئة والفلاسفة وآراء العرب في الجاهلية، وآراء الهند: وهذا القسم يقابل القسم الأول تقابل تضاد، فهؤلاء يعتمدون على الفطرة السليمة والعقل الكامل والذهن الصافي. وقد قسمه المؤلف إلى أربعة أجزاء:

الجزء الأول: تحدث فيه عن الصابئة متناولا مذهبها وفرقها، فذكر في الباب الأول: أصحاب الروحانيات ومذاهبهم، وفي الباب الثاني: أصحاب الهياكل والأشخاص، ومناظرة إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ لهما، الباب الثالث: في فرقة الحرنانية من الصابئة.

الجزء الثاني: تكلم فيه عن الفلاسفة وحكمهم وآراءهم، فذكر في الباب الأول الحكماء السبعة، الذين هم أساطين الحكمة من الملطية، وساميا، وأثينا، وفي الباب الثاني: تكلم عن الحكماء الأصول وهم ثلاثة عشرة أو أربعة عشرة، وفي الباب الثالث: تحدث عن متأخري حكماء اليونان وهم تسعة حكماء الذين جاؤوا من بعد حكماء الأصول وخالفوهم في الرأي، والباب الربع: خصه للمتأخرين من فلاسفة الإسلام، وعد أشهرهم وأكثرهم، ولم يتحدث إلا عن ابن سينا وكلامه في المنطق والإلهيات والطبيعيات.



الجزء الثالث: تكلم فيه عن آراء العرب في الجاهلية، وقسمهم إلى قسمين: في الباب الأول تحدث عن معطلة العرب، وهم منكرو الخالق والبعث والإعادة والرسل، وفي الباب الثاني: تكلم عن المحصلة من العرب، وهم من حصل علما من العلوم، فذكر علومهم ومعتقداتهم وسننهم التي أقرها الإسلام وبعض عاداتهم.

الجزء الرابع: تحدث فيه عن آراء الهند، وقسمه إلى خمس فرق، وكل واحدة تفرعت عنها فرق أخرى. خص الباب الأول للبراهمة وفرقهم، والباب الثالث لأصحاب الروحانيات، والباب الثالث: لعبدة الأصنام، وختم الباب الرابع بالحديث عن حكماء الهند.

هكذا قسم الشهرستاني كتابه هذا، ورتبه هذا الترتيب الممنهج البديع، في أسلوب محكم مجيز، فالكتاب عبارة عن موسوعة جامعة وموجزة، (وضع الشهرستاني فيه منهجا محكما لتأريخه لمقالات أهل العلم، وبهذا يعتبر الشهرستاني بحق واضع منهج البحث في تاريخ الأديان) [44].

ثالثا: منهج الشهرستاني في عرض عقائد النصارى

تحدث الشهرستاني عن النصارى ضمن حديثه عن أرباب الديانات والملل، حيث عقد لهم جزءا مستقلا عنونه بأهل الكتاب، فخص الباب الأول منه لليهود، والباب الثاني للنصارى، وقد عرض عقائدهم وآراءهم بشكل مجمل ومختصر، في نحو تسع صفحات، مقتصرا في ذلك على أهم الخلافات بين مذاهب الديانة النصرانية، والتي كان لها دور هام في تفرق النصارى واختلافهم، كما تطرق للحديث عنهم أيضا بشكل غير مباشر في مواضع متفرقة من الكتاب، وبإشارة مجملة ويسيرة.

1_ عقائد النصارى المعروضة في الكتاب

تتمثل عقيدة النصارى حول المسيح عليه السلام في أربع قضايا: عقيدة التثليث، وعقيدة الصلب، وعقيدة الخلاص والتجسد، وعقيدة القيامة والدينونة. وقد حكى الشهرستاني هذه العقائد الأربع بشكل مجمل، وبين اختلافات النصارى فيها، مقتصرا على المسائل والقضايا التي وقع فيها الاختلاف في شأن أمر المسيح عليه السلام بعد ما رفع، وأرجع هذا الاختلاف إلى أمرين:

أحدهما: كيفية نزوله واتصاله بأمه وتجسد الكلمة.

والثاني: كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد الكلمة[45].

ثم فرع على هذين المسألتين اختلافات النصارى ومذاهبهم، ويمكن إجمال هذه الاختلافات في أربع قضايا كبرى هي أهم عقائد النصارى:

أ _ عقيدة التجسد

تدل كلمة التجسد في علم اللاهوت المسيحي على أن المسيح قد: " وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا"[46].

واختلفت آراء النصارى حول هذا التجسد والاتحاد وكيفيته، وقد عرض الشهرستاني هذا الاختلاف، وحصره في خمسة مذاهب:

الأول: يقول بأن المسيح أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المشف.

الثاني: يرى بأن التجسد انطبع فيه انطباع النقش في الشمع.

الثالث: يقول بأنه ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني.

الرابع: يقول بأن اللاهوت تدرع وتجسد بالناسوت.

الخامس: يرى بأن الكلمة مازجت جسد المسيح ممازجة اللبن الماء، والماء اللبن.[47]

كل هذه الآراء وإن اختلفت في كيفية التجسد إلا أنها تتفق في السبب الذي من أجله تجسد المسيح، وهما سببان اثنان: التجسد من أجل الخلاص، وإعلان الله عن ذاته.

ب _عقيدة التثليث

تقوم عقيدة التثليث عند المسيحيين على وجود ثلاثة أقانيم: الآب، والابن، والروح القدس، (ويعنون بالأقانيم: الصفات: كالوجود والحياة والعلم)[48]، وهذه الأقانيم الثلاثة قائمة بذاتها، مختلفة في جوهرها ونشأتها، فالأب جوهر واحد؛ أي أنه قائم بنفسه، لم يأخذ الوجود من سواه، فهو واحد بالجوهرية، ثلاثة بالأقنومية، والابن متولد من الأب، والروح القدس منبثق من كليهما.

وقد رد القرآن الكريم على هذه العقيدة الباطلة، وكفر القائلين بها، يقول تعالى: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ" {المائدة،آية: 17}، ويقول: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ" {المائدة، آية: 73}.

ت _عقيدة الصلب

تعتبر عقيدة الصلب في الديانة المسيحية من أهم العقائد، إذ منها تتفرع باقي العقائد الأخرى، وعليها تقوم الديانة المسيحية، وببطلانها تبطل الديانة المسيحية، فحسب زعم المسيحيين أن المسيح عليه السلام قتل وصلب، قتله اليهود حسدا وبغيا، وإنكارا لنبوته ودرجته. ويرون أن هذا الصلب كان لخلاص الأمة من الخطيئة التي ارتكبها آدم عليه السلام في الجنة[49].

وقد تعارضت النقولات والأخبار في الكتاب المقدس حول بطلان هذه العقيدة وإثباتها، جاء في إنجيل متى: "وَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ تَشَاوَرَ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخُ الشَّعْب عَلَى يَسُوعَ حَتَّى يَقْتُلُوهُ، فَأَوْثَقُوهُ وَمَضَوْا بِهِ وَدَفَعُوهُ إِلَى بِيلاَطُسَ الْبُنْطِيِّ الْوَالِي"[50]، وهذا ما ورد أيضا في إنجيل يوحنا: "سَمِعَ الْفَرِّيسِيُّونَ الْجَمْعَ يَتَنَاجَوْنَ بِهذَا مِنْ نَحْوِهِ، فَأَرْسَلَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ خُدَّامًا لِيُمْسِكُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا يَسِيرًا بَعْدُ، ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي، سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِدُونَنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا"[51].

وأشار القرآن الكريم إلى بطلان هذه العقيدة وفسادها، يقول سبحانه وتعالى: "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا" {النساء، آية: 157}.

1. عقيدة القيامة:

يعتقد النصارى بأن المسيح عليه السلام لما قتل وصلب ثم دفن، قام من قبره بعد ثلاثة أيام، وظهر لتلامذته، ومكث بينهم أربعين يوما،(ورأى شخصه شمعون الصفا، وكلمه وأوصى إليه، ثم فارق الدنيا وصعد إلى السماء)[52]، كما يعتقد النصارى بأن المسيح عليه السلام سينزل إلى الأرض في آخر الزمان عند نهاية الحياة الدنيا، لكنهم مختلفون في وقت نزوله، (فمنهم من يقول: ينزل قبل يوم القيامة، كما قال أهل الإسلام، ومنهم من يقول: لا نزول له إلا يوم الحساب)[53].

ـ هذه أهم عقائد النصارى في أمر المسيح عليه السلام، وقد تحدث عنها المؤلف بشكل مجمل، مقتصرا على المسائل التي وقع فيها اختلاف بينهم، وأجمل هذا الاختلاف في مسألتين تتعلق بشخصية المسيح عليه السلام:

المسألة الأولى: في كيفية نزوله واتصاله بأمه وتجسد الكلمة، ونشأ عن هذه المسألة: عقيدة التجسد، وعقيدة التثليث.

المسألة الثانية: في كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد الكلمة. ونشأ عن هذه المسألة: عقيدة الصلب والخلاص، وعقيدة القيامة والدينونة.

ثالثا: منهج الشهرستاني في عرض فرق النصارى وعقائدهم

حصر الشهرستاني الفرق النصرانية في اثنتين وسبعين فرقة، بناء على ما ورد في الحديث النبوي " ...وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة..."[54]، واختار من هذه الفرق ثلاث فرق كبرى، هي: فرقة الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية. ثم انشعبت من هذه الفرق الثلاث عدة فرق أخرى.

1) فرقة الملكانية:

اختلف في سبب تسمية هذه الفرقة، فيرى الشهرستاني أنهم سموا بذلك نسبة إلى رجل يقال له (ملكا) الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها[55]، ويرى ابن القيم أنها نسبة إلى دين الملك، لا إلى رجل يدعى ملكانيا هو صاحب مقالتهم، كما يقوله بعض من لا علم له بذلك[56]، وتبنى هذا الراي الأخير مجموعة من الباحثين، (فالملكانيون هم نصارى مصر وسورية الذين خضعوا لمقررات مجمع خلقيدونية، ودعوا بهذا الاسم على سبيل السخرية، لأنهم انحازوا في موقفهم هذا إلى الإمبراطور البيزنطي الذي أعلن قبوله تلك المفررات، فسموا بالملكانيين نظرا لأنهم أخذوا برأي ملك (أي إمبراطور) الروم البيزنطي الذي ناصر فكرة الطبيعتين)[57].

- عقيدتها:

تعتقد الملكانية ألوهية المسيح عليه السلام، ويقولون بأن الله - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - عبارة عن ثلاثة أقانيم الأب والابن والروح القدس، وقالوا بأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته، ومازجت جسد المسيح، وادعوا بأن المسيح ناسوت كلي، لا جزئي، وهو قديم أزلي من قديم أزلي، وأن مريم عليه السلام ولدت إلها أزليا. والقتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معا، وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عزوجل وعلى المسيح، فالمسيح عندهم على طبيعتين: لاهوتية وناسوتية، كما يعتقدون أن المسيح عليه السلام لما قتل وصلب ثم دفن قام في اليوم الثالث من قبره وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء[58].

وتؤمن الملكانية بالقيامة وبحشر الأبدان، ومنهم من يقول بحشر الأرواح دون الأبدان، وأن عاقبة الأشرار في القيامة غم وحزن، وعاقبة الأخيار سرور وفرح، وينكرون أن يكون في الجنة نكاح وأكل وشرب، ويرى بعضهم: أن الله تعالى وعد المطيعين وتوعد العاصين، ولا يجوز أن يخلف الوعد، لأنه لا يليق بالكريم، ولكن يخلف الوعيد؛ فلا يعذب العصاة، ويرجع الخلق إلى سرور وسعادة ونعيم[59] .

2) فرقة النسطورية:

سميت بذلك نسبة إلى مؤسسها نسطور الحكيم، بطريك القسطنطينية عام 431م ومات سنة 451م، ويرى الشهرستاني أن نسطور هذا كان موجودا أيام المأمون[60]؛ الخليفة العباسي السابع(193- 198هـ)، (والصواب أن الفرقة كانت قبل الإسلام بقرون، فقد نشأت منذ القرن الخامس الميلادي، بعد انعقاد مجمع أفسس الأول سنة (431م)، والفرقة تنسب إلى نسطور الذي ولد في الربع الأخير من القرن الرابع، ومات سنة (451م)، وقد طرد ولعن من قبل ذلك المجمع)، يقول ابن الأثير(630هـ): "ومن العجائب أن الشهرستاني مصنف كتاب (نهاية الإقدام في الأصول)، ومصنف كتاب (الملل والنحل) في ذكر المذاهب والآراء القديمة والجديدة، ذكر فيه أن نسطور كان أيام المأمون، وهذا تفرد به، ولا أعلم له في ذلك موافقا"[61]، وشبه الشهرستاني نسطور هذا ومذهبه بالمعتزلة وآرائهم[62].

- عقيدتها:

تعتقد النسطورية أن الله تعالى إله واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود والعلم والحياة، وبعضهم يثبت له صفات أخرى بمنزلة القدرة والإرادة ونحوهما، ولم يجعلوها أقانيم، وتقول بعقيدة التجسد، إلا أنهم يخالفون فرقة الملكانية واليعقوبية في كيفية التجسد، وقالوا بأن الكلمة اتحدت بجسد عيسى عليه السلام،وذلك كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم، أما في عقيدة القتل والصلب فيرون أن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته، لا من جهة لاهوته؛ لأن الإله لا تحله الآلام[63].

وتختلف هذه الفرقة فيما بينها اختلاف كبيرا، حتى إننا نجد منهم من يقول بوحدانية الإله، وأن المسيح ابتدأ من مريم عليها السلام، وأنه عبد صالح، مخلوق، إلا أن الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته، وسماه ابنا على التبني، لا على الولادة والاتحاد، ومن النسطوريين أيضا فرقة تسمى بالمصلين، قالوا في المسيح مثل ما قال نسطور، إلا أنهم قالوا: إذا اجتهد الرجل في العبادة، وترك التغذي باللحم والدسم، ورفض الشهوات

الحيوانية والنفسانية: تصفى جوهره حتى يبلغ ملكوت السماوات، ويرى الله تعالى جهرة وينكشف له ما في الغيب فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ومن النسطورية من ينفي التشبيه، ويثبت القول بالقدر، خيره وشره من العبد كما قالت القدرية[64].

3) فرقة اليعقوبية:

نسبة إلى يعقوب البراذعي؛ أسقف أنطاكية في القرن السادس للميلاد، ولم يكن هو المؤسس لهذه الفرقة، بل كانت أراؤها ومعتقداتها موجودة قبله، لكنه كان من دعاة هذا المذهب واشتهر عنه، فنسب إليه[65].

- **عقيدتها:**

تعتقد فرقة اليعقوبية أن المسيح ـ عليه السلام ـ له طبيعة واحدة، هي مزيج بين طبيعتين؛ فطبيعة اللاهوت امتزجت بطبيعة الناسوت، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت، فصار المسيح هو الله، وقالوا بأن المسيح عليه السلام ولد من مريم عليها السلام وقتل وصلب، لكن استشكلوا: بأن المسيح عليه السلام إنسان كلي، ومريم إنسان جزئي، والجزئي لا يلد الكلي؟ فقالوا إنما ولده الأقنوم القديم. ويقولون بالأقانيم الثلاثة: الأب، والابن، والروح القدس، إلا أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده بل هو هو[66].

✓ **ملاحظة واستنتاج:**

من خلال ما سبق نلحظ أن المؤلف في حديثه عن النصارى وعقائدهم تتبع المنهج التالي:

ــ **اعتماده منهج الحصر والاختصار**؛ سلك المؤلف في عرضه لعقائد النصارى وآرائهم منهجا مختصرا، مع جودة الترتيب وحسن التنظيم، وهو منهج اعتمده في هذه الطائفة كما في باقي الطوائف والفرق الأخرى، وقد بين ذلك في المقدمة إذ قال: (وكان غرضي من تأليف هذا الكتاب حصر المذاهب مع الاختصار)[67]، فتحدث بداية في بضعة أسطر عن التعريف بالمسيح عليه السلام ومعجزاته، ثم تحدث عن عقائد النصارى وفرقهم، مقتصرا في ذلك على ذكر المسائل الخلافية.

ـ **مقارنة بعض الآراء ببعض:** في حديثه عن الفرق النصرانية قارن الشهرستاني بعض آراء الفرق مع فرق أخرى (مسلمة أو غير مسلمة)، مثل النسطورية في بعض آرائها مع المعتزلة "وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة"[68]، وشبه آراء نسطور في الأقانيم بأحوال أبي هاشم المعتزلي "وأشبه المذاهب بمذهب نسطور في الأقانيم أحوال أبي هاشم من المعتزلة"[69]، كما قارن بعض آراء النسطورية بمذهب القدرية، ثم قارن أيضا كلام نسطور في الإله بقول الفلاسفة في حد الإنسان. وقارن بين مذهب النسطورية من جهة وبين مذهب الملكانية واليعقوبية من جهة ثانية في عقيدة الصلب(وأما قولهم في القتل والصلب فيخالف قول الملكانية واليعقوبية)[70]، وقارن أيضا بين اليهود والنصارى عموما من جهة كثرة أتباعهما، وقرر بأن الأمة اليهودية أكبر،(لأن الشريعة كانت لموسى عليه السلام، وجميع بني إسرائيل كانوا متعبدين بذلك، مكلفين بالتزام أحكام التوراة)[71].

ـ **عرض الآراء دون نقدها أومناقشتها**، وبدون الإشارة إلى بيان التناقض والتحريف في بعض العقائد، وهذا منهج الشهرستاني في الكتاب عموما، وقد صرح بذلك في مقدمته حيث قال: "وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده، وأعين حقه من باطله، وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية، لمحات الحق ونفحات الباطل "[72]، إلا أنه في بعض الأحيان يشير إلى ضعف بعض الآراء ويعلق عليها، وهي قليلة، ولكن بأسلوب هادئ بعيد عن النقد الجارح والتعصب الديني، وهذا مما يتميز به الكتاب، ويمتدح به الإمام الشهرستاني، ولعل هذا الأمر هو ما جعل الكتاب ينتشر بشكل كبير ويشتهر، وتم طبعه على لغات مختلفة؛(عربية وإنجليزية وألمانية وفارسية وتركية)، ومن الآراء التي تعرض لنقدها في عقيدة النصارى رأي فولوس في المسيح عليه السلام، حيث بين تناقض كلامه وقارن بينما كتبه في رسالته إلى اليونانيين وبينما نقله في

الأناجيل، (ومن العجب أنه نقل في الأناجيل: أن الرب تعالى قال: إنك أنت الابن الوحيد. ومن كان وحيدا كيف يمثل بواحد من البشر؟)[73]، كما أنه يستخدم أيضا بعض الأساليب والعبارات لبيان ضعف بعض الآراء أو بعدها عن الصواب، (وزعموا، وزعم بعضهم، وزعم قوم، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا). وفي بعض الأحيان يستشهد بآية قرآنية دليلا على بطلان عقيدة ما وفسادها، مثل عقيدة التثليث، يقول: (وأخبر عنهم القرآن: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ")[المائدة: 73] [74]، وعقيدة ألوهية المسيح، يقول: (وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ")[المائدة: 17][75].

- حكاية الأقوال دون ذكر مصادرها: غالبا ما يحكي المؤلف الأقوال والآراء غير معزوة إلى مصادرها، وبعض الأحيان يشير إلى المصدر الذي أخذ منه، وقد صرح بخمسة منها، رسالة بولس، والأناجيل الأربعة:(إنجيل متى، ولوقا ومرقس، ويوحنا)، كما أنه استشهد ببعض الآيات القرآنية، واعتمد في تعداد الفرق النصرانية على حديث الافتراق المذكور في كتب الحديث.

4. خاتمة:

في ختام هذا المقال نستخلص أهم النتائج والنقاط التي توصلنا إليها، ويمكن إجمالها فيما يلي:

ـ يعتبر علماء المسلمين هم السابقون لدراسة علم الأديان والفرق والمذاهب، يشهد لذلك بعض مؤلفاتهم التي كتبت في هذا الموضوع، ويصنف الإمام الشهرستاني من بين أوائل هؤلاء العلماء، حيث أمضى حياته العلمية في جمع وبحث وتصنيف، فخلد لنا مكتبة علمية في تاريخ علم الأديان، حتى وصفه معاصروه بـ"صاحب التصانيف" وأطلق عليه "الإمام"، وشهدوا له بالتفوق والسبق.

ـ يعتبر كتاب "الملل والنحل" من أهم المصادر والمراجع في دراسة علم مقارنة الأديان، فهو موسوعة مختصرة في المذاهب والفرق وعقائد أهل الملل والأهواء والنحل، كما تميز الكتاب بمنهجه وأسلوبه، وحسن الترتيب والتنظيم، لذلك حظي الكتاب بعناية كبيرة من لدن الباحثين والدارسين، وتم طبعه مرات عديدة وعلى لغات مختلفة.

ـ تعرض الشهرستاني للحديث عن الديانة النصرانية بشكل مجمل ومختصر(في نحو تسع صفحات)، مقتصرا في ذلك على المسائل والقضايا التي وقع فيها الاختلاف في شأن أمر المسيح عليه السلام بعد ما رفع، وأرجع هذا الاختلاف إلى أمرين: أحدهما: كيفية نزوله واتصاله بأمه وتجسد الكلمة. والثاني: كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد الكلمة. ثم فرع على هذين المسألتين اختلافات النصارى ومذاهبهم، ويمكن إجمال هذه الاختلافات في أربع قضايا كبرى هي أهم عقائد النصارى: عقيدة التثليث، وعقيدة الصلب، وعقيدة الخلاص والتجسد، وعقيدة القيامة والدينونة.

ـ حصر الشهرستاني الفرق النصرانية في اثنتين وسبعين فرقة، واختار من هذه الفرق ثلاث فرق كبرى، هي: فرقة الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية. ثم بين آراءها وعقائدها، من غير مناقشة هذه الآراء والمذاهب، وبدون بيان صحيحها من فاسدها، وتعيين حقها من باطلها.

ويمكن إجمال منهجه فيما يلي:

1ـ أنه **اعتمد منهج الحصر والاختصار** في عرضه لعقائد النصارى وآرائهم مع جودة الترتيب وحسن التنظيم، وهو منهج اعتمده في هذه الطائفة كما في باقي الطوائف والفرق الأخرى، فتحدث بداية في بضعة أسطر عن التعريف بالمسيح عليه السلام ومعجزاته، ثم تحدث عن عقائد النصارى وفرقهم، مقتصرا في ذلك على ذكر المسائل الخلافية.

2 ـ **مقارنة بعض الآراء ببعض**، حيث قارن بعض آراء الفرق مع فرق أخرى (مسلمة أو غير مسلمة)، مثل النسطورية في بعض آرائها مع المعتزلة، وشبه آراء نسطور في الأقانيم بأحوال أبي هاشم المعتزلي، كما قارن أيضا بعض آراء النسطورية بمذهب القدرية، ثم قارن أيضا كلام نسطور في الإله بقول الفلاسفة في حد الإنسان، وقارن بين مذهب النسطورية من جهة وبين مذهب الملكانية واليعقوبية من جهة ثانية في عقيدة الصلب. وقارن أيضا بين اليهود والنصارى عموما من جهة كثرة أتباعهما.

3 ـ أنه يعرض الآراء دون نقدها أو مناقشتها، وبدون الإشارة إلى بيان التناقض والتحريف في بعضها، إلا أنه في بعض الأحيان يشير إلى ضعف بعض الآراء ويعلق عليها، وهي قليلة، ولكن بأسلوب هادئ بعيد عن النقد الجارح والتعصب الديني،

4. حكاية الأقوال دون ذكر مصادرها: غالبا ما يحكي الأقوال والآراء غير معزوة إلى مصادرها، وبعض الأحيان يشير إلى المصدر الذي أخذ منه، وقد صرح بخمسة منها: رسالة بولس، والأناجيل الأربعة:(إنجيل متى، ولوقا ومرقس، ويوحنا)، كما أنه استشهد ببعض الآيات القرآنية، واعتمد في تعداد الفرق النصرانية على حديث الافتراق المذكور في كتب الحديث.

5. قائمة المراجع:

[1] - الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، دار القلم، ط1، 2003، ص:44.

[2] التحبير في المعجم الكبير. عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقيق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف بغداد، الطبعة الأولى، 139هـ- 1975م، (ج:2/ 160 ـ 162). ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، (بدون. ط)، (ج:273/4 ـ 275). والأنساب، السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، 1382هـ - 1962م، (ج:183/8). ومعجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية، 1995م، (ج:376/3 ـ 377).

[3] مقدمة محمد الوكيل لكتاب الملل والنحل، الشهرستاني، دار الاتحاد العربي للطباعة، 1387هـ ـ 1968، ص:4.

[4] مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، الشهرستاني، تحقيق وتعليق: محمد علي آذرشب، مركز البحوث والدراسات للتراث المخطوط، ـ طهران، الطبعة الأولى 1429هـ ـ 2008م، ص: 5.

[5] الأنساب، السمعاني، ج:8/ 183. وسير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ / 1985م، ج:20، ص: 287. ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ج:4، ص: 273.

[6] معجم لبلدان، ياقوت الحموي، ج:3، ص: 377 .

[7] الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002م، ج:6، ص: 215.

[8] تاريخ حكماء الإسلام، ظهير الدين البيهقي، تحقيق: محمد كرد علي، مطبعة الترقي بدمشق، 1365هـ ـ 1946م، ص: 141 ـ 142.

[9] معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج:3، ص: 377

[10] مقدمة محمد بدران لتخريج كتاب الملل والنحل، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة. الطبعة الثانية (د . س)، ص: 10.

[11] محمد بدران في تقديمه لكتاب الملل والنحل، وسهير مختار في تحقيقه لكتاب مصارعة الفلاسفة. وعبد العزيز محمد الوكيل في مقدمة تحقيقه كتاب الملل والنحل. ومحمد بن ناصر السحيباني في كتابه: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل.

[12] طبقات الفقهاء الشافعية، ابن الصلاح، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية بيروت، الطبعة: الأولى، 1992م. ج:1، ص:212.

[13] طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناجي، وعبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1413هـ، ج:6، ص: 653.

[14] طبقات الشافعيين، ابن كثير، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ومحمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية 1413 هـ - 1993م، ص: 636.

[15] الملل والنحل، الشهرستاني، ضبط وتعليق: كسرى صالح العلي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1436هـ ـ 2015م، ص: 112.

[16] معجم البلدان، ياقوت الحموي. ج:3، ص: 377.

[17] العبر في خبر من غبر، شمس الدين الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، ج:3، ص: 7.

[18] سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ج:20، ص: 287 ـ 288.

[19] طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ج:6، ص: 130.

[20] منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية. تحقيق: محمد رشد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986م، ج:6، ص: 305.

[21] لسان العرب ابن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ، ج: 11، ص: 631.



22 الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، تحقيق: جمال عبد الغني مدغمش، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى، 1439هـ ـ 2018م، ص: 388.

23 التعريفات، الشريف الجرجاني، ضبط وتصحيح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ -1983م، ص: 105 ـ 106.

24 الملل والنحل، الشهرستاني، ص: 67.

25 نفسه، ص: 67.

26 لسان العرب، ابن منظور، ص: 650 ـ 651. بتصرف.

27 مقدمة محمد بدران لتخريج كتاب الملل والنحل، ص: 10.

28 الملل والنحل، الشهرستاني، ص: 33.

29 المصدر نفسه، ص: 57.

30 طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ج: 6، ص:128.

31 منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، ج:6، ص: 304.

32 نقلا عن محمد بن ناصر السحيباني في منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، دار الوطن الرياض، الطبعة الأولى، 1417، ص: 214.

33 مقدمة تحقيق كتاب الملل والنحل، سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1395هـ ـ 1975م، ج:1، ص:4

34 نقلا عن محمد بدران في مقدمته لكتاب الملل والنحل، ص: 7.

35 نفسه، ص: 7

36 مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر، نقلا عن محمد بن ناصر السحيباني، منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، ص: 220 بتصرف.

37 منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ج: 6، ص: 300 و304، بتصرف

38 الملل والنحل، الشهرستاني، ص:34.

39 سنن ابن ماجه، ابن ماجة، من طريق أبي هريرة، رقم:3991، تحت باب افتراق الأمم، ج:5، ص: 128.

40 الملل والنحل، الشهرستاني، ص: 36 ـ 37.

41 نفسه، ص: 38.

42 نفسه، ص: 43 ـ 50.

43 نفسه، ص: 57.

44 مقدمة محمد بدران، لكتاب الملل والنحل. ص: 10.

45 الملل والنحل، الشهرستاني، ص: 242

46 إنجيل يوحنا(1: 14).

47 الملل والنحل، الشهرستاني، ص: 242.

48 المصدر نفسه، ص: 242.

49 تطور المسيحية بين عيسى عليه السلام وبولس، محمد إبراهيم كركور، ص: 151.

50 إنجيل متى: (27 : 1 ـ 2)

51 إنجيل يوحنا: (7: 32 ـ 34)

52 الملل والنحل، الشهرستاني، ص: 243.

53 نفسه، ص: 243.

54 سنن ابن ماجه، رقم: 3992، ج:5، ص: 128.

55 الملل والنحل، الشهرستاني، ص: 244.



56 هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم دار الشامية، جدة السعودية، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1996م، ص: 534.

57 الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهر الاسلام حتى اليوم ـ دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، سعد رستم، الأوائل للنشر والتوزيع ـ دمشق، الطبعة الثانية، 2005، ص: 29 و28.

58 الملل والنحل، للشهرستاني، ص: 244، بتصرف.

59 نفسه، ص: 245، بتصرف

60 نفسه، ص: 246.

61 الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ / 1997م، ج:1، ص:301.

62 الملل والنحل، الشهرستاني، ص: 246.

63 نفسه، ص: 246 ـ 247، بتصرف.

64 نفسه، ص: 247، بتصرف.

65 تعليق كسرى صالح العلي في كتاب الملل والنحل، ص: 247.

66 الملل والنحل، للشهرستاني. ص: 247 ـ 248.

67 نفسه، ص: 57.

68 نفسه، ص: 246.

69 نفسه، ص: 246.

70 نفسه، ص: 247.

71 نفسه، ص: 228.

72 نفسه، ص: 37.

73 نفسه، ص: 243.

74 نفسه، ص: 244.

75 نفسه، ص: 248.